وصايا الأُمهات
فى
الشرق .. والغرب

(من وصايا الأُمهات البليغات)

* عن الأصمعى عن أبان بن تغلب قال :

ـ مررت بامرأة بأعلى الأرض، وبين يديها ابن لها يريد سفراً، وهى توصيه فقالت :

ـ «اجلس يابنى أمنحك وصيتى وبالله توفيقك، وقليل إجدائها عليك أنفع من كثير عقلك ..

إياك والنمائم؛ فإنها تزرع الضغائن ..

ولا تجعل نفسك غرضاً للرماة؛ فإن الهدف إذا رُمى، لم يلبث أن ينثلم ..

ومثل لنفسك مثالاً، فما استحسنته من غيرك فاعمل به ..

وما كرهته منه فدعه واجتنبه ..

ومن كانت مودته بِشْرَهُ، كان كالريح فى تصرفها ..

* **ثم نظرت فقالت :**

ـ كأنك يا عراقى أعجبت بكلام أهل البدو؟

ثم قالت لابنها :

ـ «إذا هززت فهز كريماً؛ فإن الكريم يهتز لهزتك.

«وإياك واللئيم؛ فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها..

«وإياك والغدر؛ فإنه أقبح ما تعومل به ..

«وعليك بالوفاء؛ ففيه النماء..

«وكُن بمالك جواداً، وبدينك شحيحاً..

«ومن أعطى السخاء والحلم، فقد استجاد الحُلّة : ريطتها وسربالها .

.. انهض على اسم الله[1] ..

(أم توصى ابنها)

* **قالت أعرابية لابنها :**

ـ أى بُنى، إن سؤالك الناس ما فى أيديهم من أشد الافتقار إليهم .. ومن افتقرت إليه، هنت عليه ..

«ولا تزال تحفظ وتكرم حتى تسأل وترغب .. فإذا ألحت عليك الحاجة، ولزمك سوء الحال، فاجعل سؤالك إلى من إليه حاجة السائل والمسئول ..

(وصايا الأم لابنتها فى اليابان)

* يوم تزف العروس إلى زوجها فى بلاد «اليابان» توصيها أمها الوصايا التالية :

١ـ لم تعودى ابنتى من الآن فصاعداً، فيجب عليك أن تطيعى أباك وأمك..

٢ـ زوجك سيدك الوحيد، فاتضعى أمامه ولاطفيه؛ فأفضل مناقب المرأة : طاعتها التامة لزوجها..

---

(١) البيان والتبيين ـ للجاحظ ـ جـ٤ ص٧٢، ٧٣ ..

٣ـ يجب أن تظهرى الحب لحماتك دائماً ..

٤ـ إياك والغيرة؛ فإنها تميت محبة زوجك لك ..

٥ـ لا تغتاظى من زوجك ولو أخطأ، بل اصبرى .. ثم كلميه بلطف حينما يبرد خُلقه ..

٦ـ لا تكثرى الكلام، ولا تغتابى جيرانك، ولا تكذبى أبداً ..

٧ـ انهضى من النوم باكراً، ولا تنامى بعد الظهر، ولا تشربى الخمر، ولا تدخلى الاجتماعات العامة قبلما يصير عمرك خمسين سنة ..

٨ـ لا تستشيرى العرافات ..

٩ـ أحسنى تدبير بيتك، وكونى مقتصدة..

١٠ـ لا تكثرى الاجتماعات مع صغار السن، ولو تزوجت صغيرة السن ..

١١ـ لا تلبسى ثياباً زاهية الألوان، ولتكن ثيابك ثياب الحشمة والأدب، ولكن يجب أن تكونى نظيفة دائماً .

١٢ـ لا تفتخرى بغنى أبيك، ولا بمقامه .. وإذا كان غنياً فلا تشيرى إلى غناه أمام أقارب زوجك ..

هذه الوصايا قديمة فى بلاد اليابان، وكانت مرعية فيها دائماً ..

(أم توصى ابنتها فى ليلة دخلتها)

* **نصحت أم ابنتها .. فقالت لها :**

ـ عليك بالقناعة .. والسمع والطاعة .. والعفة والوداعة ..

ابسطى الأنظار .. والمنخار (الأنف) .. والمنقار (الفم) ..

راعى الأميال .. حافظى علىّ الأموال .. ساعدى فى الأعمال ..

اعملى ما يسره .. واكتمى كل سره .. ولا تعصى أمره ..

استرى على عيبه .. وعلى جيبه .. وتوددى له فى شيبه ..

صونى لسانك .. وتخيرى جيرانك .. واثبتى فى إيمانك ..

(أمهات يعلمن بناتهن .. ترويض رجالهن)

* **كان نساء العرب يعلمن بناتهن اختيار الأزواج ..**

فكانت المرأة تقول لابنتها : اختبرى زوجك قبل الإقدام والجرأة عليه .. فانزعى زج رمحه .. فإن سكت .. فقطعى اللحم على ترسه .. فإن سكت .. فكسرى العظام بسيفه .. فإن صبر .. فاجعلى الإكاف على ظهره .. وامتطيه .. فإنما هو حمارك .. وعلى الجملة .. فبالعدل قامت السموات والأرض .. وكل ما جاوز حده .. انقلب إلى ضده ..

(ما أوصت به أمك؟(*))

وقالوا : إن «النعمان بن المنذر(١)» تزوج أربعاً من أربع قبائل، تأييداً لعرشه، وتثبيتاً لملكه : واحدة أنمارية، والثانية سُلَمية، والثالثة نَمَرية .. والرابعة أسدية ..

فقال للأولى : **ما أوصتك به أمك؟**

فقالت : **قالت لى .. عَطِّرى جلدك، وأطيعى زوجك، واجعلى الماء آخر طيبك..**

وقال للثانية : **ما أوصتك به أمك؟**

فقالت : **قالت لى .. لا تجلسى بالفناء، ولا تكثرى المراء، واعلمى أن أطيب الطيب الماء ..**

(*) المرأة العربية فى جاهليتها وإسلامها..

(١) النعمان بن المنذر (٥٨٠ـ٦٠٢).

وقال للثالثة : **ما أوصتك به أمك؟**

فقالت : **قالت لى .. لا تطاوعى زوجك فتملّيه .. ولا تعاصيه فتشكيه**[1] .. **واصدقيه الصفاء .. واجعلى آخر طيبك الماء ..**

وقال للرابعة : **ما أوصتك به أمك؟**

فقالت : **قالت لى .. أدْنِى سِتْرَك .. وأكْرِمى زوجك .. واجتبى الإباء .. واستنظفى بالماء**[2] ..

(رسالة من أم إلى ولدها(*))

كان لهذه الرسالة التى تلقاها من أمه الأرملة تلميذ فى إحدى المدارس الثانوية أكبر الأثر فى حياته العملية بعد إتمام دراسته .. فشغل عدة مناصب كبيرة .. ثم اختير عضواً فى البرلمان ..

* **أى بنى العزيز ..**

سوف تصبح رجلاً فى يوم ما .. وستجد نفسك يومئذ حائراً متردداً أمام إغراء إخوان السوء لك بارتكابِ الإثم والمعصية .. وتَنكُّبِ الطريق المستقيم، مصورين لك الخطيئة فى صورة براقة زاهية ..

ولمثل هذه اللحظة التى يتملكك فيها الشك، وتتعرض رجولتك لأقسى امتحان، أكتب إليك رسالتى هذه، لأوصيك بما أرجو أن يخرجك من ذلك المأزق، ويجعلك تجتاز الامتحان بنجاح ..

---

(١) تشكيه تحمليه على الشكوى ..

(٢) بلاغات النساء ص٩٢.

(*) الهلال ـ أغسطس ١٩٤٩ ..

إن عوامل الإغراء والتضليل فى تلك اللحظة ستكون من القوة بحيث تملأ خيالاتها عينيك .. وتدوى أصواتها فى أذنيك، وتأخذ على شعورك كل سبيل ..

ولكنك من خلال تلك الظلمات المتراكمة ستلمح بصيصاً من النور .. وستسمع فى أعماقك صوتاً ضئيلاً خافتاً يهمس لك بأن تتبع ذلك البصيص؛ ليدلك على طريق الهداية والنجاة .. فوصيتى لك يابنى أن تصغى لهذا الصوت، وأن تجاهد نفسك لكى تعمل ما يشير به عليك .. فما هو إلا صوت الحق، أو هو صوت الله !!

* * *

إن شياطين الغواية سوف تتفانى فى سبيل تضليلك .. وسوف توهمك بأنك إن التزمت جانب الخير فسينفر منك الناس، وتعيش وحيداً فى الحياة ..

ولكن ثق أنك لن تكون وحيداً .. أن الله سيكون معك، فهو جل شأنه صديق الأخيار .. ومادام الله فى جانبك أثناء نضالك فثق أن النصر لك فى النهاية ولو كان العالم كله ضدك ..

(عن مجلة «كورونت»)

(وصايا الأُم)

*** وأوصت امرأة «عوف بن محلم الشيبانى» ابنتها عند زفافها إلى ملك «كندة» :**

أى بنية، إنك قد فارقت بيتك الذى منه خرجت .. وعشك الذى فيه درجت .. إلى وَكْرٍ لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه .. فكونى له أَمَة يكن لك عبداً .. واحفظى له عشر خصال يكن لك ذخراً :

* **أما الأولى والثانية :**

فالصحبة بالقناعة .. والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ..

* **وأما الثالثة والرابعة :**

فالتعهد لموقع عينه .. والتفقد لموضع أنفه .. فلا تقع عينه منك على قبيح .. ولا يشم منك إلا أطيب ريح .. والكحل أحسن الحسن .. والماء والصابون : أطيب الطيب المفقود ..

* **وأما الخامسة والسادسة :**

فالتفقد لوقت طعامه .. والهدوء عند منامه .. فإن حرارة الجوع ملهبة .. وتنغيص النوم مغضبة ..

* **وأما السابعة والثامنة :**

فالعناية ببيته وماله .. والرعاية لنفسه وحشمه وعياله .. وملاك الأمر فى المال حسن التدبير ..

* **وأما التاسعة والعاشرة :**

فلا تفشى له سراً .. ولا تعصى له أمراً .. فإنك إن أفشيت سره، لم تأمنى غدره .. وإن عصيت أمره، أوغرت صدره ..

ثم اتقى مع ذلك الفرح إن كان تَرِحاً[1] .. والاكتئاب عنده إن كان فَرِحاً .. فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير .. وكونى أشد ما تكونين له إعظاماً، يكن أشد ما يكون لك إكراماً .. وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما يكون لك مرافقة ..

---

(١) حزيناً ..

واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين، حتى تؤثرى رضاه على رضاك. وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت .. والله يخير لك..

* **وأوصت أم ابنتها فقالت :**

أى بنية، لا تغفلى عن نظافة بدنك؛ فإن نظافته تضىء وجهك، وتحبب فيك زوجك، وتبعد عنك الأمراض والعلل، وتقوى جسمك على العمل .. فالمرأة التفلة ـ أى النتنة ـ تمجها الطباع، وتنبو عنها العيون والأسماع .. وإذا قابلت زوجك فقابليه فرحة مسرورة مستبشرة؛ فإن المودة جسم، روحه : بشاشة الوجه ..

* **وأوصت أم ابنتها ليلة زفافها قائلة :**

ـ لا أريد أن أخدعك يابنتى .. إن حلاوة الزوجية تنتهى بنهاية الشهر الأول الذى لاتزال فيه الحقائق والأوهام غالبة فى تخيلات تلك الصبوة .. فإذا تمنيت مزيداً من الحلاوة فى حياتك الزوجية فعليك باتباع النصائح الآتية :

١ـ اجتهدى أن تنمى فيك السجايا التى حببتك إلى زوجك .. وجعلتك عزيزة فى عينيه يوم كنت آنسة .. ولا تظنى أنك ـ وقد صرت زوجة ـ يجوز لك أن تغيرى مظاهرك السابقة .. واذكرى دائماً أن وظيفة الزوجة لا تبتدى وتنتهى فى مخدعهـا..

٢ـ لا تسلمى لأحد فى دعواه أنه يفهم زوجك أكثر منك .. حتى ولا أمك التى هى أنا .. لا تصغى للذين ينتقدون زوجك بحجة النصح له؛ فإنهم أعدى أعدائك..

٣ـ إذا عرفت خطأ لزوجك .. أو شعرت بقصور منه فإياك أن تؤنبيه أو تعظيه؛ لئلا تعتدى على حق هو لأبويه، أو لأخيه الأكبر ..

٤ـ تيقنى أنك لا تقدرين على محاربة الرجل بسلاحه ـ قوته فى لفظه وكفه وعناده ـ لأنه ثقيل فى يدك النضيرة .. وإنك لتتعبين من حمله .. وسيريك الزمان أن أسلحة المرأة الماضية ـ الحادة ـ هى الجمال والاستسلام والحلم واللطف والسكينة والاتكال .. والخجل والبكاء .. ولعلك تظنينها أسلحة ضعيفة .. ولكن أؤكد لك أنها إذا شحذتها الحمْية والأمانة كانت ماضية جداً .. كافية لأن تدمث الطباع الخشنة .. وتخفض من غلواء الرجل .. وتحط من كبريائه حتى يجثو أمامك خاضعاً..

٥ـ لا تعظمى المصائب فى بيتك .. ولا تستسلمى للحزن والأسى بعد وقوع النازلة .. يكفى زوجك جهاده خارج المنزل .. فعليك أن تخلقى التعزية والسرور له داخل البيت .. فبشى له على أى حال .. واستقبليه بكل ابتسامة تنبئ عن متسع الأمل .. وتحيى الرجاء فى النفس .. وتوقظ الحمية فى أعماق القلب ..

٦ـ تحاشى أن تستطلعى أسرار ماضى زوجك[1] .. فقد انقضى، وفى وقوفك عليه ما ينغص عيشك .. ويجعل هناءك شقاء .. ولا تنسى أن زوجك إنسان لا ملاك ..

٧ـ ارفقى بجيب زوجك .. فلا تستنفدى نقوده لاقتناء الحلى والحلل. وعليك أن تكتفى بما تمس الحاجة إليه من ذلك .. أما ما زاد عنه فيعد إسرافاً لا مسوغ له.. والكساء البسيط بهندام حسن يدل على سلامة ذوق السيدة ونبلها ..

٨ـ احترمى عواطف بعلك .. وتسلمى مواضع حاجاته .. وبادرى إلى قضائها قبل أن يطالبك بها .. حببى إلى نفسك حرفته .. فإذا كان من

---

(١) أى التى تكرهينها منه.

أهـل الأدب مثلاً فرتبى أوراقه ومكتبه .. ونظفى أقلامه وأدواته .. وإن كان طبيباً فافعلى ما يرضيه من ذلك .. وتولى هذا العمل بنفسك؛ لأن الخدم لم يكلفوا حب سيدهم ..

٩ـ اعتنى باختيار صديقاتك .. فبالنظر إليهن يحكم العالم على مكانتك، ولا تطلعى صديقة لك على كل شيء من دخائل منزلك .. مهما بلغت منزلتها عندك.. ولا سيما ما يتعلق منها بعيب أو نكبة ..

١٠ـ حينما تجلسين إلى المائـدة، اجتهدى أن تكونى فى أوضح مظاهـر البهجـة والسرور؛ لأن الوجـه العابس يعوق الهضم ويفسده .. وفسـاده داعٍ إلى اعتلال الصحة.

١١ـ كونى للزوجات نموذجاً صالحاً .. فأحبى .. وشجعى .. وعزّى واحتملى.. وسامحى واحترمى .. ترى نفسك فى السبيل الذى يفضى بالزوجة إلى السعادة والهناءة ..

*** وأوصت أم أمريكية ابنتها، فكان فيما قالته :**

١ـ لا يبرح من ذهنك أن تزوجت بإنسان لا بكائن فوق البشر .. فلا تأخذك دهشة مما ترينه فيه من النقص والعيب ..

٢ـ قد يكون زوجك بلا قلب .. ولكن له على كل حال معدة يجب إرضاؤها بتهيئة ما تشتهيه من الأطعمة ..

٣ـ اُتركى له من آن إلى آخر الكلمة الأخيرة والقول الفصل .. ففى هذا ما يسره، ولا يضرك..

٤ـ كونى معه على أدب تام دائماً .. وتذكرى أنه هو خطيبك الذى كنت تنظرين إليه كمن هو أرقى الكائنات .. وأنه لا مسوغ لتغيير وجهة النظر بعد الزواج .

٥ـ دعيه يعتقد ـ من آن إلى آخر ـ أنه أكثر منك علماً، وأغزر معرفة؛ فإن فى هذا الاعتقاد ما يسره ويرضى عواطفه ـ باعتبار كونه رجلاً ..

٦ـ احترمى آله، وخصوصاً والدته التى أحبها قبل أن يحبك[1].

(١) سعادة الزوجين جـ١ ص٢١ـ٢٣ و ١٤ـ١٧ ..